جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

# تفسير عملية التذوق فى ضوء نظرية لـــ "هيوم Hume"

# ( دراسة نقدية)

# Interpretation of Appreciation Process in the Light of Hume causal theory

**بحث من إعداد**

**أ.د/ مصطفى محمد عبد العزيز حسن**
أستاذ علم النفس ومادة تحليل التعبير الفنى
لفنون الأطفال والبالغين (المتفرغ)
كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

**أ.د/ عفاف أحمد محمد فراج**
أستاذ علم نفس التربية الفنية (المتفرغ)
كلية التربية الفنية
جامعة حلوان

## تفسير عملية التذوق في ضوء النظرية "هيوم Hum"
## ( دراسة نقدية)(*)

### مقدمة : ما هي النظرية في مجال التذوق الفني:

إن أكثر المفاهيم شيوعاً هو أن النظرية توجد في مقابل الحقيقة، فالنظرية فرض لم يتأيد بعد ، أو تأمل حول الواقع، لم يتأكد بعد بصورة تقطع بصحته، وعندما تتأيد النظرية تصبح حقيقة، والنظرية لا يمكن أن تكون صادقة أو خاطئة، وإن كانت مشتقاتها أو متضمناتها يمكن أن تكون كذلك، ويتحدد مدى الإفادة من النظرية على أساس مدى كفاءتها في توليد التنبؤات أو القضايا المتعلقة بالوقائع الهامة الصادقة.

وتتضمن النظرية في شكلها المثالي مجموعة من الفروض ذات الصلة بموضوعها يرتبط بعضها بالبعض الآخر إرتباطاً منظماً ، كما يجب أن تتضمن مجموعة من التعريفات التجريبية (الإجرائية) التى تسمح بقدر من التفاعل الدقيق بين حدود أو مفهومات مفيدة داخل النظرية بين المادة التجريبية.

وما تفعله النظرية هو جمع أو ملاحظة علاقات تجريبية ذات صلة أو ذات أهمية لم تلاحظ بعد ، واتساع منظم للمعرفة المتصلة بالظاهرات ذات الأهمية، وهذا الإتساع يجب أن يكون الوسيط إليه أو المثير المحرك له قضايا تجريبية نوعية مشتقة من النظرية (أي فروض النظرية أو ما تقرره أو ما تنتابه) وأن تكون خاضعة للاختبار التجريبي.

وإذا كان جوهر أي علم يكمن في اكتشاف علاقات تجريبية ثابتة بين الوقائع أو المتغيرات فإن وظيفة النظرية أن تدفع خطى هذه العملية بطريقة منظمة(١).

وفى ضوء ما سبق ، وفى ضوء التراث العلمي المرتبط بنظريات الشخصية يرى الباحثان أن النظرية المرتبطة بمجال التذوق الفني يجب أن تكون مجموعة من الفروض تتصل بالسلوك الإنساني في مواقف التذوق الفني، بالإضافة إلى التعريفات الإجرائية الضرورية، ويجب أن تكون مستعدة لمواجهة، أو لإصدار التنبؤات بخصوص نطاق واسع من السلوك الإنساني في مجال التذوق ، والحقيقة يجب أن تكون النظرية المرتبطة بالسلوك الإنساني في مجال التذوق مستعدة لمواجهة أي نوعية من السلوك التذوقي يمكن أن تتضح دلالته بالنسبة للفرد.

---

(*) أ.د. مصطفى محمد عبد العزيز حسن : أستاذ علم النفس ومادة تحليل التعبير الفني لفنون الأطفال والبالغين، كلية التربية الفنية – جامعة حلوان.

أ.د/ عفاف أحمد محمد فراج – أستاذ علم نفس التربية الفنية – كلية التربية الفنية – جامعة حلوان.

(١) ك.. هول. ج. لندرى : نظريات الشخصية : ترجمة فرج أحمد فرج ، قدري محمود حفني، لطفي محمد فطيم،/ مراجعة لويس مليكة، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١)،/ ص ص ٢٣-٢٩.

وقد تعدد النظريات التى تناولت تفسير التذوق الفني وفى البحث الحالي عرض للنظرية السببية للتذوق لـ : "هيوم" عرضاً نقدياً.

**هدف البحث :**

الكشف عن تفسير عملية التذوق في ضوء النظرية السببية للتذوق لـ "هيوم".

**فرض البحث :**

توجد علاقة ايجابية بين نظرية "هيوم" وتفسير عملية التذوق.

**منهج البحث :**

المنهج الوصفى .

## النظرية السببية للتذوق (هيوم) : The Causal Theory of Taste [1]

تستخدم النظريات السببية × لأنواع مختلفة من × وقد ساد ذلك في الفلسفة الحديثة، وهناك مدافعين عن النظرية السببية أو أسمائها، فهناك النظرية السببية للإدراك، والنظرية السببية للمعرفة، والنظرية السببية للعقل، والنظرية السببية للتعبير وهناك صور مختلفة من كل نظرية، ومن المستحيل أن نستخلص منها صفات مميزة للنظريات السببية.

والنظرية السببية للتذوق تشير إلى أن طبيعة الذوق، والأحكام التى تعبر عن الذوق يتم فهمها بصورة أفضل بإعتبارها أجزاء أساسية في العملية السببية التى تربط بين الأعمال الفنية أو الأشياء الأخرى موضع التذوق وخاصة أحكام الناقد أو المتذوق . وباختصار فإن النظرية السببية للذوق هي نظرية استدلالية، والأعمال الفنية تحتوى على بعض الصفات أو مجموعات من الصفات التى يترتب عليها الإحساس بشعور معين، أو مجموعة من المشاعر التى تتوالد فى نفس الناقد، والحكم على أحد الأعمال الفنية أنه يمتلك صفة جمالية معينة، يستند إلى وجود هذه العملية السببية.

وقد إكتسبت هذه النظرية مكانتها من خلال حقيقة أنها تحدد هدفاً معيناً يدور حول الصراع المتفاعل للحدس، والنظرية السببية هي التى تضع هدف إصدار أحكام الذوق وليس الناقد، ولكن العملية النقدية التى يشارك فيها الناقد تعتبر عنصراً واحداً ، كما أن النظرية السببية تتضمن مرجعاً للتفاعلات الإنسانية باعتبار أن ذلك يمثل جزء من أحكام الذوق التى تم التوصل إليها، ولذا يتم جذب الاهتمام إلى ردود الأفعال البشرية في التذوق الفني، كما يتم جذب الاهتمام إلى دور صفات العمل الفني في التذوق الفني، وتعمل النظرية السببية على تأكيد كلا الاتجاهين (ردود الأفعال البشرية، وصفات العمل الفني).

---

(1) Roger A. SHINER: Hume and the Causal Theory of Taste, The Journal of Aesthetics and Criticism 54:3 Summer, 1996, pp. 237-248

هناك فرق بين تقديم تفسير سببي لبعض الأشياء، وتقديم شرح يرتكز بصورة نقدية على وصف الأشياء أو تبريرات معينة، ومن رأى Roger A. Shiner أن أحكام التذوق تدعو إلى استخدام التبريرات النقدية وليس التفسير السببى، ولذا يوجد صراع بين النظرية السببية التى تمثل أحكام الذوق، والتى يتم تأكيدها من خلال العلاقات السببية والعمليات عن طريق الإشارة إلى صفات الأعمال الفنية، بعد إتباع أسلوب التبرير النقدي، وبين النظرية النقدية التى تلتزم بأن النقد الفني يشبه التفسير السببى.

ويضيف Roger A. Shiner أن مهمة نظرية الذوق هو تطوير عرض مفصل يوضح الصفات في أحكام الذوق والتى تسبب استجابات القائم بإصدار الأحكام المختلفة، ومن رأيه أن النظرية السببية لا تمثل. بشكل صحيح. ملامح منطق أحكام الذوق التى تجذب النظرية النقدية الانتباه إليها، وعلى هذا الأساس فمن وجهة نظره أن النظرية السببية للذوق لا يمكن أن تكون صحيحة باعتبارها نظرية للذوق.

يتعرض Roger A. Shiner عند تناوله للنظرية السببية لـ "هيوم" لنوعين من حسن البصيرة، النوع الأول هو الذى يحدد مرجع أو هدف الذوق ، ويتضمن النوع الثاني من حسن البصيرة من الناحية الجمالية أن أحكام الذوق تدعو إلى استخدام التبريرات النقدية وليس التفسير السببى، ويرى Roger A. Shiner أن النظرية السببية للذوق تمثل ذاتها بإعتبار أن ذلك يمثل حلاً وسطاً بين نوعين متصارعين من حسن البصيرة، وأن الحل الوسط قد فشل في التوصل على حل وسط للصراع. ويضيف أن الإحساس القوى المتحد مع العاطفة الرقيقة والتى تتحسن عن طريق الممارسة. وتتقن عن طريق المقارنة، والتى تتميز بالخلو من التحيزات، وهى وحدها التى تدفع الناقد وحده للتعرف على هذه الصفات الفريدة ، وإعطاء أحكام، حيث أن ذلك يمثل المقياس الحقيقي للذوق ، وتعتبر هذه الأبعاد الخمسة معايير الشخص ذو الذوق الجمالي، وفيمايلي مناقشة كل من هذه الأبعاد الخمسة من وجهة نظر هيوم:

**١ – رقة الذوق خلال إصدار الأحكام الذوقية :**

**Delicacy of Taste in Judgments of Taste**

تعتبر رقة الذوق شرطاً أساسياً بالنسبة للشخص الذى يتمتع بالذوق الجيد، وقد لوحظ أن "هيوم" يستند إلى حسن البصير في مناقشة هذا الموضوع، وأن جانباً مما يعنيه بالذوق الجمالي هو بالضبط القدرة على التمييز بكيفية أدق وأكثر رقة بين الصفات الجمالية للأعمال الفنية، ويذكر أنه عندما تكون الأعضاء دقيقة للغاية بحيث لا تفسح المجال لكي يهرب منها أي شيء وتتمكن في نفس الوقت من إدراك جميع المكونات داخل تكوين معين، فإن ذلك يطلق

عليه " رقة الذوق " سواء استخدم هذا المصطلح بالنسبة للذوق الجمالي أو حتى بالنسبة لحاسة الذوق.

أما بالنسبة للموضوع المتعلق بتفهم الأحكام الخاصة بالذوق الجمالي، فبالنسبة للفلاسفة الجماليين فإن ذلك يعنى عندهم امتلاك عمل فني معين صفة جمالية، ويـذكر R.A. Shiner أن الجمال ليس صفة في الشيء ولكنه ينتمي بشكل كلى إلى العاطفة، ثم يضيف بـأن هنـاك اختلاف بين القواعد العامة المطبقة في حالة حاسة الذوق، والقواعد المطبقة في حالة الحكـم على الذوق الجمالي، ففي الحالة الأولى يتم تطبيق القواعد العامة للتفسير السببى، أمـا فـي الحالة الثانية يتم تطبيق القواعد العامة لتبرير المعايير المستخدمة، والنظرية السببية تعمل على إخفاء هذه الحقيقة، ويحدث ذلك بصورة جزئية ففي الأشياء التى نتحدث فيها عن رقة الـذوق فإنها نتجاهل اختلاف الأحاسيس تجاه المصطلح الرئيسي "التكوين".

وفى حالة الحاسة الجمالية فإنه من المنطقي أن نتذكر أن من يمتلـك حاسـة الـذوق الجمالي هو الفرد الذى يتمكن من إدراك جميع "المكونات" فـي التكـوين (العمـل الفنـي) ، والتماسك الديناميكي أو العاطفة الضعيفة تعد من صفات الأعمال الفنية، وليس بسبب العواطف التى تنشأ في داخل الناقد، فالناقد يراعى أنه أكتشف تماسك ديناميكي في عمل فني وليس في العاطفة التى توجد في داخله.

ويتميز الناقد الجمالي بصفات معينة تؤدى على اكتشافه أن الأعمال الفنيـة تتصـف بوجود بعض الخواص الجمالية، ولكن عند القيام بتطوير وإظهار رقة الذوق الجمـالي فإننـا نقوم بالتمييز بين التكوينات التى تعتبر أعمال فنية وليست عواطف ، مع ملاحظة أن فاعليـة النظرية السببية في أحكام الذوق الجمالية تثبت من خلال التوازي الواضح في أحكام الـذوق الحسي.

**٢ – ممارسة أحكام التذوق : Practice of Judgment of Taste :**

يعتقد "هيوم" أن ممارسة إصدار أحكام التذوق لها صلة بامتلاك الفرد الـذوق الجيـد وبلاشك كلما ازدادت مواجهة الفرد للأعمال الفنية اتجهت عاطفته نحو الوضوح والتحديـد، وبعدت عن الغموض والتشويش، والتذوق الجمالي يتطلب وجود العواطف الواضحة والمميزة وليس العواطف الجامدة والمشوشة، فالفرد لا يمكنه التمييز بين مختلف الأعمال الفنيـة فـي مدرسة ما إلا في حالة رؤيته لعديد من هذه اللوحات، فعن طريـق الممارسـة تتـاح للفـرد الفرصة لإدراك مختلف جوانب السمو في الأداء ومزايا أو عيوب الأشياء المختلفة.

ونتيجة للإحساس الأكثر دقة وجمالاً الذى ترغب فيه النظرية فإن النظرية تعتقد أن بوسع الفرد أن يتصور حالات الجمال والعيوب في كل جزء من الشيء ، وكذلك أن يدرك الأنواع المختلفة التى يمكن تمييزها في كل صفة.

**٣ – المقارنات في أحكام التذوق : Comparisons in Judgment of Taste :**

لاحظ "هيوم " أن القدرة على القيام بالمقارنات أو تنفيذها لها علاقة بامتلاك فرد ما صفة الذوق الجيد فيذكر " أن الفرد الذى لا يتاح له فرصة إجراء المقارنات لمختلف أنواع الجمال ، هو بالفعل غير مؤهل بشكل كلى لإعلان أي رأى بالنسبة للأشياء التى تتناول النقد الفني عندما يقوم الفرد بمقارنة أحد الأعمال الفنية بعمل آخر".

لا يمكن للنظرية السببية أن تستفيد من هذه الإجابة، فهي تشير إلى أن النقد الفني الجيد هو النوع الذى يكتشف بصورة تجريبية أن نتائج إجراءات المقارنة تنشىء في داخل الفرد مدى متعدد من العواطف، وأن هذه العواطف يترتب عليها متعة مختلفة في النهاية تعتبر أكثر إشباعاً ، فعند مشاهدة أعمال فنية مختلفة سوف يترتب عليها أن تنشأ في داخل الفرد عواطف مختلفة البعض منها أكثر إقناعاً ، ولا يمكن للفرد أن يحدد مقدار المتعة الأكبر التى يحصل عليها إلا في حالة اختياره متعاً أخرى من أنواع مختلفة ، وعلى هذا الأساس فإن المقارنات تمثل جزءاً هاماً في الحصول على الإحساس النقدي الجيد.

وهذا التفسير النفسي السببى في جميع مجالات النظرية السببية يسمح له بأن يوضح أهمية المقارنة فى تطور الذوق ، كما أن الفرد ينتقل إلى ما وراء ما تسمح به النظرية السببية وذلك في الحالات التى يتوافر فيها وصف لما يحدث، بحيث أن ما يتوافر هنا هو حالة مقارنة للأشياء، وليس مقارنة المتع الناتجة عن الأشياء .

والنظرية السببية تمتنع عن القول بأن الفرد يقارن بين مختلف أنواع الجمال يتم الإحساس بها بسبب اختلاف العواطف التى تنشأ داخل الفرد، ولكنها تشير إلى أن الفرد عند إصداره الأحكام المختلفة الخاصة بالذوق فإنه يقوم بفحص الأداء الفني ومقارنته وموازنته، وليس العواطف ، ولكن هذا الاتجاه ليس صحيحا كما يقول R. A. Shiner ، فالعاطفة التى تنشأ داخل الفرد والعمل الفني تعتبر أمران مختلفان ، والمقارنات المعينة يجب أن تتم إما من حالات من نفس النوع ، أو حالات من نوع آخر.

**٤ – التحيزات في أحكام التذوق : Prejudic in Judgments of Taste :**

تشير نظرية "هيوم" إلى أن التحيزات يمكن أن تحول دون أن يصبح الرد مؤهلاً لإصدار أحكام التذوق.

ويذكر R.A.Shiner في هذا الإطار أنه من الممكن أن يتم التعبير عن التفكير ذي الحدس الصحيح بطريقتين مختلفتين :

**الطريقة الأولى** : عدم السماح لأى شيء التأثير في اعتبارات فرد معين سوى تلك الاعتبارات الخاصة بالشيء موضوع الدراسة فالفرد الذى سقط من فوق حصانه وهو في السادسة من العمر لا يتمكن من التعرف على مزايا لوحات Stubbs التى تدور حول الجياد.

**الطريقة الثانية:** عدم استخدام معايير عالم الفن في نيويورك في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية للحكم مثلا على الفازات المصورة والمنفذة في العصر الإغريقي لأنها صنعت في ظروف وأفراد مختلفين.

وعامة فلن يكون لأشكال الجمال تأثير على الفرد الذى يعانى التحيز، وسوف يكون هناك خطأ في الأحكام المتسمة بالتحيز فهي ليست استجابة للأشياء مثلما يجب أن تكون ، فالأحكام المتميزة تعتبر حقيقية، حيث أنها لا تتوافق مع المعايير الحقيقية التى وضعها الأفراد ذوى الأحكام الصحيحة.

ويضيف R. A. Shiner أنه إذا كان من الممكن أن تكون الأحكام الجمالية عرضة للتحيز فإن ذلك يعنى أن الجمال يمكن أن يكون مجرد عاطفة داخلية مرتبطة سبباً مع شيء معين، وباختصار فإن النظرية السببية لا تستطيع تفسير أن بعض أشكال الحدس الصحيحة تستطيع اكتشاف أخطاء فى النقد الفني، وعندما يتم إعادة صياغة الأحكام الجمالية تصبح ملائمة لوجهة النظر السابقة فإن ذلك يعنى أن التحيزات سوف تصبح مناظرة لعدم إتباع النصيحة الطبية الصحيحة، ولكن ذلك لا يعتبر نموذجاً منهاجياً متوافر للتحيز في الأحكام الخاصة بالتذوق الجمالي، كما أن هذا النموذج لا يفسر كيف أن التحفيز غير مرغوب في النقد الفني.

## ٥ – جودة الحس فى أحكام التذوق : Good Sense in Judgments of Taste :

يقصد بجودة الحواس الإدراك العام الصحيح بطبيعة العمل والحقيقة أن الحاجة إلى الحواس الجيدة تتضمن جانباً هاماً من حسن التبصر، على الرغم من أن ضرورة توخى العناية خلال الكشف عنه، والأسباب التى يميل "هيوم" إلى ذكرها خلال ذكره أن الحواس الجيدة تعتبر شرطاً أساسياً يجب أن يتوافر بالقدر الجيد ترجع على حساسيات القرن الثامن عشر، حيث كان الأفراد يتميزون بالحساسية البالغة للصفات والأشكال، والذين يمتلكون الحساسيات الرومانسية الخاصة بالقرن التاسع عشر، ويتصفون بوجود نفس ردود الأفعال تجاه كل نوع من أنواع التكوين. ويعلق R.A. Shiner على هذا فيشير إلى وجود شقان :

**الشق الأول:** أن عالم الفن يمكن أن يتصف إلى درجة كبيرة بأنه ممثل عالمنا، وذلك إذا كان من الممكن أن نتذوق العمل الفني.
**الشق الثاني:** أن هذا التشابه يعتبر أساساً في تذوق الأعمال الفنية، وأن التذوق في هذا النوع في حد ذاته يعتبر مسألة تذوق جمالي.

**نقد لـــ "هيوم " وطبيعة التذوق:**

في دراسة لـــ James R. Shelley [1] بعنوان "هيوم وطبيعة التذوق " ، ذكرت عدة تساؤلات : ما الذى تستند إليه القوة المعيارية لمقياس التذوق ؟ أن "هيوم" يذكر أنـــه الحكـــم المشترك الذى يضم الأحكام الحقيقية، فما الذى يؤدى إلى الحكم المشترك لمجموعة من النقاد ، ويجعله مقياساً؟ وإذا كان هناك حكم يختلف عن الحكم المشترك لعمل فني معين فهل يصح اعتبار صاحبه ناقداً سيئاً ؟ . كما سبق أن أشار هيوم ، لماذا تكون آراء النقـــاد فـــي الحكـــم المشترك ملزمة لصاحب هذه الدراسة؟ وما الأساس الذى يؤيد أن استجابة الحكـــم الحقيقـــي المشترك تعتبر صحيحة؟

أ-

ويذكر J. R. Shelley أن مقالة هيوم قد فشلت في مواجهة هـــذه الأســـئلة لأنهـــا لا تتضمن أي تفسير للسبب الذى يجعل المقياس مقياس وليس هناك عيب أكثر من ذلك ، ولـــذا فهو يهدف من وراء هذه الدراسة تقديم قراءة لمقالة "هيـــوم" المتضـــمن تفســـيراً للكفـــاءة المعيارية لمقياس "هيوم" للتذوق ، وبدأ ذلك بتوضيح معاني العمل الصعبة التى تـــم تجاهلهـــا بدرجة كبيرة خلال تناول مقالة "هيوم" بالتفسير وما عليها من تحفظات.

أ- هناك أشكال معينة من الصفات . من الأبنية الأصلية للنسيج الداخلي. اعتبرت مصدراً للمتعة، بينما اعتبرها البعض الآخر غير ذلك، وإن إخفاقها في أحداث المتعة إنما يرجع على فشلها في حالات معينة أو بسبب بعض العيوب أو النقص.

ب- بالرغم من أن بعض الأشياء تعتبر مصدراً للمتعة بسبب البناء العقلي. إلا أنه ليس من المتوقع أنها تؤدى إلى توفير المتعة بصورة متساوية لكل فرد في جميع الحالات.

ج- بالرغم من أن التذوق يوجد بصورة متساوية في جميع الأفراد بالعالم إلا أن عدد قليل منهم هم المؤهلين لإصدار الأحكام على الأعمال الفنية.

د- يتصف المبدأ العام للمتذوق بالتجانس في الطبيعة البشرية، على الرغم مـــن اخـــتلاف البشر في أحكامهم، ووجود عيوب أو تشويه في قدراتهم.

---

(1) James R. Shelley: Hume and the Nature of Taste, The Journal of Aesthetics and Art Criticism, V. 56, n.1, Winter, 1998.

ويذكر J. R. Shelley أن النقاط السابقة تتعلق بجزء من المقال الذى حدد فيه "هيوم " الصفات الخمسة للأحكام الحقيقية والذى إدعى فيه أن "الحكم المشترك" يعتبر المقياس الحقيقي للذوق الجمالي، فالجملتان أ، ب، توجدان في مقدمة هذا الجزء ، والنقطتان جـ ، د تظهران في نهاية هذا الجزء . ومعنى ذلك أن النقاط الأربعة أ ، ب ، جـ : د التى يشير فيها "هيوم" إلى العيوب والنقص والتشوه في القدرات أو العضو ، تشير إلى الطرق الخمسة التى تم وضعها في هذا الجزء ، والتى من المحتمل أن إحداها قد يفشل في أن يكون حكماً حقيقياً، كما أن هذا يعنى أيضا أنه عندما يدعى "هيوم" في "جـ" أن عدداً قليلاً مؤهلاً لإصدار الأحكام بالنسبة لأي عمل فني، وهذا يعتبر مقياساً للجمال، وهؤلاء الأفراد ، القليلين، يعتبروا مؤهلين للقيام بادوار الحكام الحقيقيين وذلك من خلال امتلاكهم للصفات الخمسة. وهناك نقطة ثانية وهى أن مبادئ الذوق الذى يدعى "هيوم" أنها شاملة وموحدة، فالطبيعة البشرية في الجملتين جـ ، د تعتبر مجرد مبادئ وذلك وفقاً لما أشار إليه "هيوم" في الجملتين " أ ، ب " من أن هناك صفات تعتبر مصدراً للمتعة، ويظهر ذلك أيضا بشكل واضح عندما توضح "ب" في سياق آخر:

" هناك الكثير من العيوب في الأعضاء الداخلية التى تعتمد عليها عواطفنا الخاصة بالجمال والنشوة وعلى الرغم من أنه ينظر إلى بعض الأشياء . بسبب البناء العقلي. على أساس أنها تؤدى بصورة طبيعية إلى إحداث المتعة، إلا أنه ليس من المتوقع أن يشعر كل فرد بالمتعة بنفس القدر".

وهكذا يعرض "هيوم" نفس النقطة "ب" في سياق آخر، ففي الجملة الأولى ذكر "هيوم" أن هناك بعض الصفات التى سببها البناء العقلي والتى تؤدى بصورة طبيعية إلى إحداث المتعة أو عدم إحداثها، بينما أشار هيوم في الجملة الثانية. في السياق الآخر. إلى أن هناك عدداً قليلاً من الأفراد الخالين من العيوب أو التشوهات الخمسة التى وضعها "هيوم" في الجزء الخاص بالحكم الصحيح والإحساس المتعة أو عدم الإحساس بها وحيث يظهر ذلك بصورة طبيعية بسبب هذه الصفات.

ويشير J. R. Shelley إلى احتمال وجود تناقض ذاتي لكل جملة من الجمل الأربع السابقة فكيف يؤكد "هيوم" في الجملة بأن العقل البشرى مبنى بكيفية معينة إلى درجة أن بعض الصفات توجد بصورة طبيعية (أي شاملة) تؤدى إلى الإحساس بالمتعة، وأن بعض الأشياء تؤدى إلى الإحساس بالمتعة في العقل البشرى وحده؟ ، وكيف يمكنه على وجه التحديد أن يؤكد في نفس الجملة على أن مبادئ الذوق تعتبر شاملة، وأن عدداً قليلاً من الأفراد مؤهلين لإصدار الأحكام على الأعمال الفنية، أو تحديد عواطفهم الخاصة باعتبارها تمثل مقياس

الجمال ؟ لقد كان من المفترض أن يتمسك "هيوم" بموقف معين، حيث يلاحظ انقسام المقالة على نفسها، ووجود هذا الاتجاه بشكل ظاهر في بعض الجمل الفردية.

ويضع J. R. Shelley بعض الحلول لعلاج هذه التناقضات الظاهرة، وذلك من خلال ما سبق أن قدمه Richard Shuster man [1] من وجهة نظر وفيما يلى هذه الحلول :

أ- هناك بعض الأشياء الموجودة بصورة طبيعية تؤدى إلى إثارة بعض العواطف المقبولة حول الجمال في الكائنات الحية الصحيحة، ولكن كما سبق من ملاحظة فإن الكلمات القليلة السابقة لا تتماشى مع الأجزاء الأولى في الجمل من (أ) إلى (د* وعلى هذا الأساس يقترح بصورة تجريبية إلغاء كلمة "صحيحة".

ب-هناك بعض الأشياء الموجودة بصورة طبيعية تؤدى إلى إثارة بعض العواطف المقبولة حول الجمال في الكائنات البشرية، ويقترح مد هذه الصفة بطريقتين : الطريقة الأولى باعتبارها جملة فإن "أ" تذكر بوضوح أن بعض الأشياء المعينة يترتب عليها إحداث بعض العواطف الممتعة المتعلقة بالجمال، وكذلك بعض العواطف غير الممتعة التى يطلق عليها "هيوم" إسم "نشوة" ويقترح صياغة هذه الجملة على النحو التالي:

"**هناك بعض الأشياء التى تؤدى بصورة طبيعية إلى إثارة بعض العواطف المقبولة حول الجمال، أو العواطف غير المقبولة حول النشوة في الكائنات البشرية**".

أما الطريقة الثانية وهى الأكثر أهمية هي أن نلاحظ أن وجهة نظر "هيوم" لا تقتصر فقط على أن بعض الأشياء تتيح بصورة طبيعية عواطف الجمال، أو النشوة في الكائنات البشرية على الرغم من أنه إذا تم التعامل مع الجملة قبل تعديل صياغتها في معزل، فإنه يبدو أنها تقترح ذلك، والجملة "أ" تعكس بصورة أكثر دقة وجهة نظر "هيوم" وبشكل تقليدي ، وتعتبر طريقة لتوضيح الأمر فليس الشيء ، ولكن بعض أشكال الصفات بداخله هي التى تؤدى إلى أن يتم نشوء بعض العواطف المقبولة حول الجمال، وعلى هذا الأساس تكون الصياغة على النحو التالى :

"**هناك أشكال أو صفات معينة من الأشياء يترتب عليها بشكل طبيعي إثارة بعض العواطف المقبولة حول الجمال أو بعض العواطف المقبولة للنشوة في الكائنات البشرية.**

والفرق بين ٣ ، ٤ بسيط ، ولكنه حاسم ، وإذا كانت مبادئ التذوق تقتصر على أن أشياء معينة تؤدى بصورة طبيعية إلى إثارة بعض العواطف المقبولة للجمال أو بعض العواطف غير المقبولة للنشوة في الكائنات البشرية، فإن ذلك يؤدى إلى أن الجمل من "ب" إلى "د" تتصف بالفعل بالتناقضات الذاتية، فإذا أدرك أثنين من الأفراد نفس الشيء وتسبب هذا

(1) Shustrerman: Of the Scandal of Taste: Social Privilege as Nature in the Aesthetics Theones of Hume and Kant, "The Philosophical Forum 20 (1989): 211-218.

الإدراك في نشوء المتعة في نفس أحدهما، فإنه يمكن القول في هذه الحالة أن إدراك في نشوء المتعة في نفس أحدهما، فإنه يمكن القول في هذه الحالة أن إدراك الشيء بشكل طبيعي (أو شامل) يؤدى إلى إحداث المتعة في العقل البشرى، وعلى أي الأحوال إذا أدرك أثنين نفس الشيء وكان هذا الإدراك يتسبب في نشوء المتعة لأحدها فإنه يمكن القول بأن إدراك صفات معينة في الشيء بصورة طبيعية (شاملة) يمكن أن يؤدى إلى إحداث السرور في العقل البشرى على الرغم من أن شخص واحد تصور وإدرك الصفات المعينة في الشيء والشخص الآخر لم يدركها.

ويرى J. R. Shelley أن هذه النقطة التى كان "هيوم" يرغب في توضيحها في الجمل من (أ) إلى (د) " وهى أن مبدأ التذوق يعتبر شاملاً ، وأن العقل البشرى مبنى بشكل معين إلى درجة أن إدراك صفات معينة في الأشياء بصورة طبيعية يؤدى إلى الإحساس بالمتعة أو عدم المتعة، ولكن الأفراد الذين يدركون جميع الصفات المعينة هم المؤهلين لتحديد عواطفهم باعتبارها مقياساً للجمال.

ويضيف J.R. Shelley في دراسته هذه إلى أنه من الممكن عرض الموقف العام لـــ "هيوم" بكيفية أخرى ، فوفقاً لما سبق أن أشار إليه "هيوم" فإن هناك مرحلتان منفصلتان في كل حكم من أحكام الذوق : المراحل الإدراكية ، التى تتصور فيها صفات الأشياء، والمرحلة الوجدانية التى تشعر فيها بعواطف المتعة أو عدم المتعة والتى تنشأ بسبب إدراكنا للصفات المختلفة .

ولهذا فعندما يذكر "هيوم" أن المبادئ العامة للتذوق موحدة فى الطبيعة البشرية وأن هناك صفات معينة في الأشياء والتى تتلائم بطبيعتها لإنتاج أحاسيس الجمال والنشوة فإن ذلك يعنى أنه يدعى أنه لا يوجد فشل في المرحلة الوجدانية، أو بمعنى آخر فإن "هيوم" يدعى أنه على الرغم من أن الناس يفشلون في الإدراك الجمالي للصفات المعينة في الأشياء إلا أنه عندما يتم إدراك إحدى الصفات على أساس أنها غير مناسبة، فإن ذلك سيؤدى إلى عدم إثارة أي عاطفة، وعلى هذا الأساس وبالرغم من عدم تساوى أذواق الأفراد المختلفين، ومع الأخذ في الاعتبار اعتبار التذوق على القدرة الإدراكية، فإن ذلك يعنى أن الأذواق المختلفة متساوية بالنسبة للجانب الطبيعي، بمعنى لن يدرك أحد أن أحد العواطف تعتبر غير مناسبة، وذلك استناداً إلى الصفات التى يتم إدراكها.

وفى حالة عدم وجود فشل في المرحلة الوجدانية فإنه يتبع ذلك أن أي من العيوب أو التشوهات أو النقص التى يتحدث عنها "هيوم" في الجمل من (أ) إلى (د) " يعتبر عيوباً أو

تشوهات أو نقص، والذى يمكن أن يحدث في هذه المرحلة هو إخفاق في امتلاك رقة الذوق ، وممارسته تشكل بعض العيوب أو النقص في الإدراك، حيث يظهر فيه بوضوح أن رقة الذوق قد تحدث على أساس المقدرة على إدراك مختلف المكونات في التكوين وعدم إتاحة الفرصة لاختلاف أي شيء ( ص ٢٣٥).

وعلى هذا الأساس يذكر J. R. Shelley في دراسته هذه أن الإخفاق في امتلاك الحاسة الجيدة تشكل وفق لما يراه "هيوم" اضطراباً إدراكياً يؤدى هذا إلى الفشل في إدراك العلاقات المشتركة وأوجه التناظر بين الأجزاء في العمل الفني، وإدراك حالات الترابط والوحدة بصورة عامة ، وكذلك الفشل في تميز جوانب الجمال والمنطق في التصميم .

كما أن الفشل في امتلاك أي من الصفتين المتبقيتين "المقارنة" وغياب الاستحسان، يمثل عيوباً معينة في نظام مختلف ، ففي حالة الناقد الذى لا يستطيع القيام بإجراء المقارنات سوف يفشل في تحقيق التعرف على المرتبة المقارنة لمختلف حالات المتعة وعدم المتعة والتى تنشأ بسبب الصفات المختلفة التى يتم إدراكها، ومن ثم يخفق في تمييز المقارنة الصحيحة لرتب الأعمال ذاتها، وفى حالة الناقد المتميز فإن السماح لمجالات المتعة وعدم المتعة الناتجة عن العوامل الخارجية التأثير على اعتباراته الخاصة ستبدو كأنها صفات في الشيء نفسه.

وحول المصدر الأساسي لمعيارية مقياس "هيوم" يذكر J. R. Shelley في دراسته هذه :

" إذا كنت تدرك وجود جميع الصفات في أحد الأشياء في الوقت الذى أدركها أنا ، ولكن في نفس الوقت تدرك بعض الصفات التى لا أدركها، فإن الأمر لا يقتصر فقط على إدراك كل منا الصفات بصورة مختلفة ، فأنت تدركها بكيفية أفضل منى، وهذا هو في النهاية يمثل المصدر الأساسي لمعيارية مقياس "هيوم".

وينسب "هيوم" كما ذكر J. R. Shelley في نفس الدراسة استجاباتنا الثابتة على بعض الصفات مثل: اختلافات الأمزجة لأفراد معينين ، وكذلك الأسلوب، وبعض الاختلافات والآراء السائدة في عصرنا ، أو مجتمعنا.

كما أنه يشير ببساطة إلى أنه في مثل هذه الأحوال لا يوجد أي مجال لتفضيل ذوق معين على آخر، وينتهي J. R. Shelley هذه النقطة بالاتفاق مع "هيوم" من أنه لا يمكن الوصول إلى المقياس الحقيقي للتذوق والجمال، إلا من خلال الحكم المشترك للحكام الحقيقيين مع الأخذ في الاعتبار أن الحكام الحقيقيين يدركون جميع الصفات الجمالية المعينة للعمل الفني، لذا فإن إخفاقهم في التوصل لحكم مشترك بالنسبة له يعنى وجود استجابات متباينة ، بالنسبة لواحدة أو أكثر من صفاته، وحيث أن ذلك بدوره يعنى أنه لا يوجد مقياس لهذا العمل،

ولكن عندما يستجيب القضاة الحقيقيين من مختلف الأمزجة والجنسيات والعصور المختلفة بشكل موحد إلى جميع صفات عمل فني معن ، فإنه من الضروري الاعتراف بحكمهم باعتباره مقياس ، وذلك لأن هذا هو الحكم المشترك والذى سنشترك فيه جميعاً.

ويرى J. R. Shelley أنه لا يمكن اعتبار أن الحكم مشترك إلا إذا كان المحكمين المشاركين يتصفون بالتباين وأن يكون مختلفي الطباع والعمر الزمني والجنس والأعراق والطبقات الاجتماعية المختلفة، ولكن من الذى سيضمن لهذه المجموعة الإتفاق على أي شيء فهل يمكن أن يعبر أي حكم فردى عن كل من أذواقنا الفردية المختلفة؟ هذا ويدرك "هيوم" أنه لا يوجد ضمان لاتفاق المحكمين . وعلى هذا الأساس فـ "هيوم" يعرف أن مساواته لمقياس التذوق مع الحكم المشترك للحكام الحقيقيين لا يوفر في حد ذاته أي أدلة بالنسبة لوجود المقياس ، ولكنه ببساطة يخبرنا بأن هناك مقياس.

## قائمة المراجع


١- ك.. هول. ج. لندرى : نظريات الشخصية : ترجمة فرج أحمد فرج ، قدري محمود حفني، لطفي محمد فطيم،/ مراجعة لويس مليكة، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١).

2- James R. Shelley: Hume and the Nature of Taste, The Journal of Aesthetics and Art Criticism, V. 56, n.1, Winter, 1998.

3- Roger A. SHINER: Hume and the Causal Theory of Taste, The Journal of Aesthetics and Criticism 54:3 Summer, 1996.

4- Shustrerman: Of the Scandal of Taste: Social Privilege as Nature in the Aesthetics Theones of Hume and Kant, "The Philosophical Forum 20 1989.

## ملخص

## تفسير عملية التذوق فى ضوء النظرية السببية لـــ "هيوم" (*)

**مقدمة :**

تعددت النظريات التى تناولت تفسير التذوق الفنى، فقد ارتبط بعض هــذه النظريــات ببعض العلماء أمثال كــانط، Kant ، وبــرلين Berlyne ، وهيــوم Hume ، وجونســون Johnson ، وبارسونز Petsons ، وارتبط الآخر ببعض مدارس علم النفس كنظرية التحليل النفسى، والنظرية السلوكية، ونظرية الجشتالت مثلا.

والبحث الحالي تناول النظريــة الســببية لـــ "هيــوم The Causal Theory of Appreciation ، عرضاً ، ونقداً ، من حيث مكوناتها وتفسيرها لعملية التذوق.

**هدف البحث :**

الكشف عن تفسير عملية التذوق فى ضوء النظرية السببية للتذوق لــ "هيوم".

**فرض البحث :**

توجد علاقة ايجابية بين نظرية "هيوم" وتفسير عملية التذوق.

**منهج البحث :**

المنهج الوصفى .



(*) أ.د. مصطفى محمد عبد العزيز حسن : أستاذ علم النفس ومادة تحليل التعبير الفنى عند الأطفال، كلية التربية الفنية – جامعــة حلوان.

أ.د/ عفاف أحمد محمد فراج – أستاذ علم نفس التربية الفنية – كلية التربية الفنية – جامعة حلوان.

**Summary**

**Interpretation of Appreciation Process in the Light of Hume causal theory ***

**Introduction:**

Numerous theories have dealt with the interpretation of art appreciation. Some of these theories have been associated with some scientists such as Kant, Berlyne, Hume, Johnson and Parsons. Other theories are linked to some psychology schools such as psychoanalysis theory, behavioral theory, and the theory of Gestalt.

The current research deals with Hume Causal Theory of Appreciation with presenting and criticizing it in terms of components and interpretation of the process of appreciation.

**Aim of the research:**

It tries to interpret and explain the appreciation process in light of the Hume Causal Theory of Appreciation .

**Hypothesis of the research:**

There is a positive relationship between the Hume Causal Theory of Appreciation and the interpretation of the appreciation process.

**Research Methodology:**

It follows the descriptive method.

***1- Mustafa Mohamed Abdel Aziz Hassan, professor of Psychology (emeritus), children and adults Arts Artistic Expression Analysis, Faculty of Art Education - Helwan University .**

**2- Afaf Ahmed Mohammed Farraj, professor of Art Education Psychology (emeritus), Faculty of Art Education, Helwan University.**